ما يدور في حقل الأقحوان
W.SAFIYA.MASOUD

ما يدور في حقل الأقحوان

صفية مسعود

أهداء إلى من جعلت من نفسها بلسماً لا جرحاً
أمي.

والى من كافح الحياة ومصاعبها لاجلنا
أبي.

والى أول من قرأ هذا الكتاب ،أفضل قارئة لدي

شهد

والى رفيقات دربي وعمري
صديقاتي الغاليات.

ماذ سيحدث لو تحدثت عصفورة وأفصحت عن أفكارها وكل ما يعتملُ داخلها.....؟؟!!

لتكن أحاديثنا سراً لن يعرف عنه أحد.....
أذن لنلتقى في حقل الأقحوان كل ليلة يا صغيرة.....
سوف تسرين الي بكل ما أوتيت به علما سيدتي العصفورة....
سافعل يا صغيرة، ولكن ليس ما أقوله مقدس وأنما حصادُ مئة عام....، فاحذرك من عبادتي أو تقديسي
لن أفعل، أعدك.

هل سبق وأن أخبرك أحد لما بلوتو بعيدٌ هكذا؟
ولماذا القمر أجمل من سائر النجوم؟!...
أنا ساخبرك يا صغيرتي

12:00 🕛
Sunday
مالذي تفكرين به يا صغيرة ؟
التفت خلف مصدر الصوت أنها هي ، جاءت على الوقت كما أتفقنا
"ما رأيك بالخيار الاول في العلاقات؟ هل تحبين أن تكوني الرقم واحد عند من تحبين؟؟
"لن يعني لي ذلك كعصفورة ولكن البشر عموماً يحبون فكرة أن يكونوا الرقم واحد، وذلك لسبب أنانيتهم المفرطة "
تصنعت العبوس لانني من البشر أيضاً الا أنني سرعان ما أبتسمت وبحثُ لها بما يشغل بالي
"كنت أفكر أنني أيضا كنت كذلك، أكره أن أكون الثانية او الثالثة، وأسعد كثيراً عندما أشعر بانني المميزة عند أحدى صديقاتي المقربات ، كنت أعشقُ المركز الأول وأعتقدت كثيراً بانه من الضروري أن أكون الأولى أو لا أكون من الاساس.
تنهدتُ بينما أُطالع أزهار الأقحوان من حولي ثم أستطردت حديثي وقد عدت إنظر اليها علني أرى تأثير كلماتي على معالم وجهها
"إلى أن التقيتُ به ، جعلني يائسة جداً لدرجة أنني لم أهتم للمركز الذي ساشغله بل كانت غاية مرامي أن يبادلني الشعور حتى وأن كنتُ الخيارالمئة، عجزتُ تماماً أمامه ، لانه لم يكن كما البقية ....

لو وقعت عينا ليوناردو دافينشي عليه لاعترف بنفسه أنه أجمل من لوحة الموناليزا، ولو التقطت عدسة تصوير ضحكته وأنتشرت حول العالم لاضيفت ضمن عجائب الدنيا واصبحوا ثمانية ، جميل بطريقة مخلة و أنيق كأنه نص غزل كتب بقلم أحلام مستغانمي وملفت ما يجعلني أغار عليه من الجميع"

"مالذي فعله لك هذا البشري يا صغيرة؟"

قالت وهي تبتسم باتساع تصف لي مقدار سعادتها بحديثها معي وتحثني علي المواصلة

"وهنا تكمن المشكلة يا سيدتي هو لم يفعل شئ ، أعني لم يحاول يوماً أن يتقرب مني او حتى يتحدث معي ،أحياناً أشعر وكأنه من وحي الخيال فقط!"

رنت ضحكتها في أرجاء الحقل، بدت أجمل عصفورةً رأتها عيناي يوماً

"لقد جعلتيني أتذكر مقولة محمد طارق في رواية باريس لا تعرف الحب "

قطبت حاجباي ووجهت سؤالي بفضول كبير

"ومالذي قاله؟"

أنه شئ سخيف أن تقتحم قلباً لم تحاول الاقتراب منه من الأساس "

ورغم أنني شعرتُ بالم طفيف إلا أنني أبتسمت وكأن ما قالته قد راق لي

"صحيح أنه شئ سخيف"

"أين هو الان؟"

"بعيدٌ كما القمر، ولا أعلم في أي مجرة هو الان"

قلت ذلك وأنا أزفر الهواء بحزن
"هل تحملين صورة له؟ يمكنني البحث عنه وحمل أخباره لك كل فترة ،حتى لا تحزني او ينشغل بالك "
شهقت بصدمة لم أتوقع أن تفعل ذلك لاجلي ،صحيح هي عصفورة يمكنها التحليق كما تشاء، اخرجتُ هاتفي سريعاً وبدل صورة واحدة جعلتها تطالع عدد من الصور، كنت سعيدة جداً ،رمقتني بنظرة غامضة ثم أرتفعت عن الأرض وحطت فوق كتفي لتهمس بالقرب من اذني بكلامٍ محببٍ لقلبي كثيراً وحلقت بعيداً بينما كنتُ أردد ما قالته لي بصوت عالي
"هو وسيم جداً ،بريئ كما لو أنه ملاك يمشي على الأرض ،يذكرني بجنة العدن المفقودة، يناسبك بشدة صغيرتي.

12:00 🕛
Tuesday
أقفُ وحدي أحدق ناحية اللاشئ، أشعُر بفوضى أفكاري رغم أنها لم تكن بذلك الصخب ،أُجاهدها وكأنني جندي بأحدى المعارك ،فقط كي لا تخونني وتفكر بك..
"لماذا تكبحينُ جماح أفكارك؟"
أوجست لسماع ذلك الصوت القيت نظرة بجانبي ،لم تكن الا العصفورة لم الاحظ قدومها نسبةً لشرودي، أستطردت قائلة دون النظر ناحيتي
"ضريبة الأفعال الندم ،أما الأفكار فلا ضريبة عليها يا صغيرة"
يالك من فيلسوفة!
تُخبريني بانه يمكنني المرور بمنتصف النار والخروج سالمة؟!
سألتها باندهاش وعندما لم أتلقي رداً أردفت وأنا أوجه نظري ناحية السماء
"عزيزي حتى التفكير به فقط عليه ضرائب ومتاخرات وديون كثيرة،فهو مختلف عن البقية يزورني في الليالي الباردة وعندما يصيبني السهاد فتعجز عيني عن النوم ،يزورني وأنا أشاهد أفلامي المفضلة ،يزورني محملاً بشوق العالم وكأنني ذلك الشئ الثمين الذي أضاعه منذ الازل ولم يعثر عليه إلا عندما وقعت عيناه علي ،ورغم هالة البرود التي تحيط به إلا أنه يمتلك قلباً لا يضاهيه دفأً سوى مجالس الرفاق والمقاهي وشارع الشانزليزيه، يشبه الجميع لكن لا أحداً منهم يشبهه، هو سيد ديسمبر ويناير ملك الجليد خاصتي.

"أن كان هو ملك الجليد فأنت الإمبراطورة بلا شك "
قالت وقد رنت ضحكتها وسط الهدوء المريب الذي من حولنا.
"أنا وهو نبثق من بوتقة واحدة ،كيف حاله؟"
"بخير حتى الان يا صغيرة"
"أيشتاقني؟"
"أكاد أجزم بذلك"
أبتسمت بسعادة الا أنها سرعان ما زالت
"وماذا عن أخبارها؟، حدثيني"
"لا زالت محطمة، يُسمع في سماءها دوي الرصاص فقط ،لقد تلاشى غناء العصافير اذ هجروها بدورهم خائفين من الموت المحتوم. "
"من كان يصدق بان مدينة تضج بالحب وبالسلام، قد تقع ضحية الحرب؟؟"
قلتُ والدموع تحيطُ بجفناي رافضةً البكاء أمامها .
"لا باس يا صغيرة ،السماء تُمطر بغزارة على أراضيها هذة الايام، والطيور المهاجرة تستعد للعودة بينما بائعي الازهار قد عادوا بالفعل ليقطنوا بمنازلهم بالرغم من أن جميع ما بحوزتهم من زهور قد ذبل، فمحبي الازهار لا زالوا ينتظرون رغم الشوق الذي يفتك بقلوبهم
لكن الجميع يستعد لحدث عظيم "
ثم أرتفعت بجناحيها إلى قمة رأسي وهمست باذني ما جعلني أبتسم باتساع وحلقت هي مبتعدة عني
ليظل صدى كلماتها يتردد بمسامعي
"لقد أقترب النصر ،وضبي أغراضك يا صغيرة،سوف نعود للديار "

Friday
12:01
"ما خطبُكِ تَبدين حزينةً اليوم ؟"
"آه يا سيدة عصفورة ، ليس اليوم فقط، بالامس كنتُ حزينة بل وطيلة الدهر ، لا يفارقنى الألم أينما حللت. "
"السعادة خيال، والألم واقع " يا صغيرتي.
"أنني أحياناً أشرد باحلامى حتى أبلغ حداً يصبح من الصعب علي تصديق أنها ليست حقيقةٍ أعيشها، فيعتصرني الالم للواقع الذي اعيشه"
قلتُ ذلك وأنا أمسك نفسي عن البكاء بصعوبة.
"وماهو سبب كل هذا الالم والحزن يا صغيرة؟"
هو ، شخصٌ لا أود حتي ذكر إسمه جعلني بهذا البؤس، يالا السخرية أيعقل أنه يحق لشخصٍ واحد أن يدمر قلب شخصٍ ما ويتسبب له بنوبات إكتئاب ويسقيه سماً يقتله ببطء؟!!
عندما رايتُ الحزن يكتسي ملامحها العذبة ، لم أستطع كبح دموعي أكثر فبكيتُ وأنا أشهق ، يخرج صوتي متقطعاً وأشعر بغصة تشق صدري ، الا أنه ورغم ضعف حنجرتي صرخت بقوة "أذاقني كؤوس الالم بمختلف أصنافها دون أن يرف له جفن، كنت شخصاً حالم ومفعماً بالأمل والحياة، هو من حولني إلى شخصٍ خائف ومتبلد هو من جعلني مشبعةً بكل هذا الخواء أشعر بالاختناق كلما كان بقربي وبدل الشعور بالامان يكاد قلبي يموت خوفاً وتوتراً
حاولت كثيراً حتى الوذ بالسلامة لكن القطار كان قد تحطم

بالفعل "!!
لم يمت، ولن أستطيع قتله.. فما العمل؟!! لن أتمكن من أعادة ترميم قلبي وهو من حولي، كلما رممتُ جزءاً يعود لتحطيمه أكثر من قبل حتى، فيضيع مجهودي سدىً ، كما الحال مع يأجوج وماجوج وأن كنا نختلف في أنني أحاول إعادة بناء قلبي وهم يحاولون هدم الحاجز الا أننا جميعاً نجتهد على فراغ .فلا هم يقولون "أن شاء الله "ولا هو يتبخر من حياتي.
أبتسمت بين دموعي في نهاية حديثي لاشعر بها تربتُ على ظهري بجناحيها
:لستُ جيدة في المواساة فانا لستُ ببشرٍ مثلك ،ومشاكلنا وأحزاننا تختلف عنكم الا أنني ومن كل قلبي أتمنى إن يزول كل ما بك
رفقاً بقلبك الصغير ، لا تدعي هذا الكون يطبع عليك علاماته
لم أعقب على كلامها فقد كنت مشغولة بابعاد الدموع عن عيني فاردفتُ تزامناً مع إبتعادها عني
"بما أنني لا أجيد المواساة فسوف أحكي لكِ قصة، وليست مجردة قصة بل أنه سر لا يعلمه أحدٌ غيري ، واياك ان تبوحي به لشخصٍ أخر. "
لقد أندهشت، لم تفشل في جعلي أنسى حزني وبدل ذلك الألم أصبح قلبي يمتلؤ بالفضول
"أحب الاسرار ، لقد سبق وأن وعدتك يا سيدتي ، ما بيننا لن يتجاوز حقل أزهار الأقحوان"
"هل سبق وأخبرك أحد لما بلوتو بعيدٌ هكذا؟
أرتفعت حاجباي تلقائياً وقلت مبدئةً أندهاشي

"اليس بعده بالامر الطبيعي؟؟"
"أستمعي بتركيز لما أقوله فلن تجدي شخصاً يحدثك بهذا غيري.
بلوتو لم يكن بالأصل بعيداً عن الشمس هكذا بل بالعكس تماماً
كان أقرب الكواكب منها، ثم حدث ما لم يكن بالحسبان وهو أن
بلوتو أعترف للشمس بحبه الكبير لها ورغم أنها لم تكن تبادله
الشعور الا أنها كذبت عليه وأوهمته بذلك، فهام بها حباً
وعشقاًوراح يكتبُ عنها الكثير من الاشعار ويتغزل بجمالها، بينما
ينهش قلبه الحزن عندما يحل الليل وتغيب عنه حبيبته التي
يعشقها بجنون
يعتصره الشوق لها طيلة الليل ولا يستطع الصبر ريثما تشرق
عليه مجدداً.
كان أسعد الكواكب أيامها آلى أن وشت له النجوم ليلاً بان
الشمس واقعة في الحب مع عطارد ، لم يكن من السهل عليه
التصديق ولم يتمكن من تقبل ذلك حتى عندما صارحته هي
بذلك وبكل قسوة أخبرته أنها لم تحبه يوماً وفعلت كل ذلك
لتجعل عطارد يغار ويعترف لها بحبه وبما أن ذلك حدث فهي لم
تعد تود روؤية وجهه ولا الحديث معه .
أشفق من بالسماء على حاله فكان الحل هو أبعاده عن جميع
الكواكب حتى يلملم شتاته ويداوي جروحه، وهذا ما حدث
تماماً لقد أدرك صغيرنا بلوتو كم كان أعمى ، وكم كان غبياً
ليتحمل حرارتها العالية لقربه منها بل كان عليه الابتعاد عنها منذ
زمنٍ طويل. "
"لا أصدق أن بلوتو عانى هكذا ، صدقيني لولا أنك انتِ
العصفورة التي تستطيع التحدث كما البشر من أخبرني لما

صدقت "
من الجيد أن لديك عقلية منفتحه تجعلك تتقبلين ما قد يظنه غيرك مستحيل "
"اذن هل بلوتو الان حقاً سعيد بكونه بعيداً عن الشمس هكذا؟ لست واثقة بشان سعادته، لكنه لم يعد يتألم ، فقد صدقت حنان لاشين عندما قالت[تاتي علينا لحظات ندرك فيها أن ما كنا نتمناه كان رخيصاً رغم سعينا باجتهاد لنناله]
"وما الذي حدث للشمس وعطارد؟؟" سألتها بملامح غاصبة عليهما، فانا أبغض كل من يتلاعب بمشاعر الغير
أخبرتني النجوم فيما بعد أن عطارد فعل بها ما فعلته مع بلوتو وكسر فؤادها وعقاباً لها جعلت السماء عطارد قريباً منها حتى تشعر بالم أكبر حينما تراه يتغزل بكوكب الزهرة لشدة جمالها وانوثتها الطاغية .
"أنها العدالة الالهية بلا شك"
قلت بابتسامة واسعة وكأنني لم أكن تلك التي تبكي وكأنها تعاني من الهستيريا منذ قليل
وقبل أن أضيف أي شئ رفرفت بعيداً عني دون قول أي كلمة فنظرت الى الساعة التي حول معصمي وكما توقعت أنها الواحدة صباحاً، يبدو أنه وقت المغادرة عند سندريلا العصافير هكذا رحلت عصفورتي الرائعة بعد أن منحتني أفضل ساعة.... سانام ألان.....

Monday
12:05 🕛
"الحياة كما المحيط، أحياناً هادئة واحياناً أخرى صاخبة "
"تعنين الامواج، صحيح؟"
"نعم ،يا صغيرتي "
"ونحن البشر ؟"
:سألتها وأنا أدنو منها "
"أنتم تشبهون تلك المخلوقات البحرية التي تقطنه، هنالك من يشبه الاسماك الكبيرة والاخر الاسماك الصغيرة ، هنالك الجاني والمجني عليه، القرش والتونة، أنتِ يا صغيرتي مثل أسماك البلاكارد لا حول ولا قوة لك"
"وماهي أسماك البلاكارد؟"
" البلاكارد هي أسماك غالبًا ما تكون سهلة الفريسة للأسماك الأكبر والطيور البحرية والثدييات المفترسة في المحيطات"
أبتسمت بأسى واضح
"معك حق ، ليتني أجد محيطاً أخر، أنا حقاً أكره جميع هذة الأماكن.
أقتربت مني أكثر ونظرت داخل عيني بحنية ثم قالت:
"أنا أعلم أن جميع الاماكن تضج باليأس، وليس اليأس فقط إنها تضج بالألم والحزن والوحدة. ولكن هنالك أماكن رغم كل شئ تظل هي الأكثر نوراً وإشراقاً على هذا الكوكب السئ، وفي هذة الاماكن المهجورة يا صغيرتي فقط ستشعرين بالامان
وستعانقين أحلامك ، هذة الأماكن ستُرقصك على سمفونية

خاصة والحان مميزة وستدق الثانية عشرة، ولكن في هذة الأماكن لا يتوقف الحفل الراقص ،في مثل هذة الأمكنة لن تغادر سندريلا أبداً.
وحدها هذة الأماكن يمكنها أن تتسلل إلى روحك وستمتصُ كل الاذي الذي بداخلك وستشعرين بالنشوة وتصبحي أحد الحالمين ،في هذة الأماكن المكسورة ستشعرِ برغبة عارمة لتجبرِ جروحك وتجمعِ أشلاءك المتناثرة، فاهاهنا يجتمع الحزن، اليأس،الضعف ،الفوة،الكره،الحب،النهاية،البداية،الخسارة والفوز العظيم.
لم أستطع أخفاء أعجابي بما قالت ،فسألت بفضول
"وأين تكمن هذة الأماكن؟"
وضعت أحد جناحيها على قلبي، وقالت
"أنها هنا داخل قلبك وقلب من يحبونك. في قلبي أيضاً يوجد مكاناً كذاك لك وحدك، فقد أقتحمتِ قلبي بطيبة قلبك وبياض نيتك وحسن خلقك، لم أكن أعتقد أن البشر يمتلكون هكذا صفات بعد أنقضاء عهد الاولين.
أتسعت عيناي من فرط الدهشة ودون شعور أدمعت عيني
"صغيرتي كثيرة البكاء "قالت ذلك بينما تضم وجهي بين جناحيها
"سيزول كل مافي قلبك، وسينقشع الظلام، ستعثرين على ذلك الذي سيحبك كما يجب وكما يكون الحب.
"ومن أين لي بالصبر والانتظار بعد كل هذا الوقت؟"
"إياك وأن تيأسي من رحمة الله فإنه لا ييأس الا القوم الكافرون، وأن الله سبحانه وتعالى أرحم بك من نفسك فلا تحزني يا صغيرتي .

"ونعم بالله، لم أيأس قط ولكن فراق الاوطان صعب "
قلت وأنا أهز رأسي وقد أحاطت الدموع جفناي بقلة حيلة
"ومن أخبركِ أن الاوطان معنية فقط بمعاني ملموسة ومادية؟،أزلية الاوطان ماهي سوى كذبة أخترعها البشر وصدقوها، ليمنحوا صحاري وأراضي شاسعة ومباني شاهقة وخاوية من كل شئ النصيب الاعظم في قلوبنا، بينما الحقيقة هي أنه حيثُ يوجد الحبُ يوجد الوطن ،ودون الحب لسنا سوى عابري سبيل، ليت البشر ربطوا مفهوم الاوطان بالحب حينما كانوا يعلمون صغارهم، إن كانوا قد فعلوا لما أصبح العالم بهذة القسوة وأمتلات القلوب بكل هذا الخواء.
ظلت تواسيني إلى أن تحسنت وبعدها حلقت بعيداً وقد بشرتني بأنها ستذهب لزيارته وتحمل لي أخباره لاطمئن وتقر عيني.

Tuesday
12:05 🕛
"أستطيع الشعور بالفضول الذي ينبعث منك على بعد مسافاتً يا صغيرة "
التفت ناحيتها سريعاً وأنا أبتسم وكلي لهفة وفضول لاعرف أخباره
"سيدة عصفورة أنا وأزهار الأقحوان ننتظرك بفارغ الصبر ،فالجميع في الحقل مشتاق لاخباره ويسأل عنه"
"كما توقعت هو ذكي لقد فطن إلى أنني أتكرر على زيارته كثيراً ، سألني بكل براءة ما إن أرسلتكِ هي لي أم ماذ؟"
أغمضت عيني ثم فتحتهما بدهشة
"من المستحيل أنه قد أكتشف أمري يا صغيرة، فقط هو يمزح ، أدعيتً أنني غادرت بينما كنت قد أندسستُ في الأشجار أُطالعه، لقد بدا لى حزين الطرف وباهت الملامح وكئيب وكأنه ذبيح زيكولا، حاله كحالك يا صغيرتي، لقد حلت عليكما لعنة الوجد"
عندما لاحظت ذلك الشحوب الذي أكتسي ملامح وجهي أقتربت مني وهي تبتسم بأسى وأردفت قائلة
"لم أكن أنوي تكدير صفوك يا صغيرتي، أنظري للجانب المشرق من تحبينه يتقاسم معك الالم ويتجرع من ذات الكأس "
"وهذا ما يفطر قلبي، فما أعيشه من الم يا سيدتي لا أريده أن يعيش ولو القليل منه ، فهو لا يزال صغيراً على ذلك ، ليس مخضرماً في عصور وأزمنة الحزن مثلي ولم يكن حبيساً للوحدة من قبل، لم يذق المر ولم تقسو عليه الحياة يوماً بهذا الشكل، أما أنا فقد إعتدت ومهما بلغ الالم لن يستطيع التغلب علي"

"تخافين عليه أكثر من نفسك؟"
"كيف لا أفعل وهو ملء القلب؟!!"
عم الصمت هنيهة إلى أن قاطعته سيدة عصفورة قائلة
"لماذا القمر أجمل من سائر النجوم؟!"
"ها.!"
"ساقص عليك من علمي ، تذكري أن لا تشاركي أحد. "
لشدة الحماس المفرط الذي إعتراني لم أكن قادرة على فتح فمي بحرف بل أكتفيت بهز رأسي موافقةً"
"منذ زمن بعيد جداً لم يكن القمر سوى نجمة عادية كبقية النجوم، لم يكن وقتها رمز سماوي للجمال فجميعها نجوم تتساوي في شدة الإضاءة والحجم.
ولكن عندما أرتبط الضوء والحب سوياً زاد فضول النجوم عن معرفة ماهو الحب؟وكيف يكون؟ أنتشر الامر سريعاً بين بقية الكواكب الأخرى وما زاد حماسهم أن ألحب يزيد من جمال النجوم، فقدمت أحدى النجمات عرضاً على قلبها من ينل أعجابها تقع له وتحبه، سميت هذة النجمة لاحقاً بنجمة الحب.
وقد حدث بالفعل أن تقدم الكثير من النجوم للحصول على قلبها إلى أنها وكما لم تتوقع لم تقع لأي منهم ، هي إأعتقدت أن الامر سهل .
إلى أن التقت بالصدفه القمر ، ودون حتى أن تدرك أحبته كثيراً، وللأسف لم يدرك هو ذلك، لقد أحبته بصدق وعندما بلغت حداً يكاد يكون خيالي من الحب تحول ذلك النجم العادي إلى القمر الذي نراه اليوم، وبما أنه لم يتكرر حباً كحبها للقمر ظل هو القمر الوحيد ولجماله نصب ملكاً على النجوم، ولكن نجمة

الحب لم تنل مرادها لانه لم يحبها ولم يكن حتى يرغب بان تكون بقربه ولو كجارية كما طلبت، والى يومنا هذا لا زالت تدعو من بالسماء العليا أن ينظروا لحال لقلبها.
"مسكينة نجمة الحب، ولكن هل حقاً الحب يمتلك كل تلك القوة يا سيدة عصفورة؟"
"يا صغيرتي الحبُ يمتلك الوجود أجمع، الحبُ يمنحنا الحياة وكما أخبرتك سابقاً أنه حيث يوجد الحبُ يوجد الوطن ، الحبُ يشفي فالحب دواء ، والله يا صغيرتي لو تدفق الحبُ بدلاً عن الامطار على صحراء قاحلة لاهتزت . الحبُ كالمعجزات تماماً.
إبتسمت بلطف ورمشت بعيناي حالمةً، تداعبني بعض الذكريات وأنا أستمع اليها بكل حواسي
1:00.

Wensday
12:09
"إن تلك الاصفاد التي تُوضع علينا ونحن صغار حتى بعد أن يتم نزعها تبقي أثارها تسكننا بعمق للأبد "
"البشر هم من يضعون تلك الاصفاد حول بعضهم البعض ، يا صغيرة"
"نحن سيئون للغاية، أولسنا كذلك سيدة عصفورة؟"
"لآبد لكائنٍ أن يتحمل مسؤليه كل هذا الخراب، ولا أجدُ أحق من البشر بها
الحقيقة هي أن الحياة ليست سيئة وكذلك هي ليست جيدة بمعني الكلمة وأن شرها يغلب على خيرها ،وأن الشر ينبثق من داخل قلب الإنسان، البشر هم من جعلوا الحياة صعبة ومعقدة هم من دمروا الثقة ، وهم من أراقوا الدماء وقتلوا الحيوانات وشردوا الطيور ، هم من أحرقوا الغابات والقلوب ، هدموا المباني والدول والعلاقات، هم المسؤلين عن كل شئ ، لماذا لا تتخيلي كيف كان سيكون العالم دون الاستعمار، الاضهاد والحروب بعالميتيها ومحلياتها؟؟" مالذي كان سيحدث لو أنتصرت قوة المنطق على منطق القوة؟ لو أمتدت الأيدي للمصافحة لا للتشهير بالسلاح؟؟،ماذا لو تعلم الاطفال عن الحب منذ الصغر وتربوا عليه ثم كبروا وحكموا به بلدانهم؟، ماذا لو توحد جميع الخلق على دين المسامحة والاخلاق وشريعة البر والوفاء وجعلوا الحبُ علماً؟"
بتلقائية أبعدتُ الدموع عن عيني واقتربت منها وقد خيم الحزن على محياي لاقول بصوتٍ خافت ومهزوم، بُح لكثرة البكاء

"عندها لما كنت أحمل أجندة الخسارات الفادحة وملفات الالم المهترئة وكل حزم المبررات لاولئك الذين جرحوا قلبي يوماً، عندها لم أكن لاصبح أنساناً يضج بكل هذا الخواء وذا قلبٍ أجوف ، لو كانوا قد جعلوا الحب علماً لم يكن بيتهوفين ليعزف السمفونية رقم 7‹الحركة البهيجة›، ولما أنتحر فان جوخ، والتأكيد لم يكن ليسع قلب دوستويفسكي لكل ذلك الحزن ولما كان ليعاني ذلك الاكتئاب، ولما وجدتي العديد منا يعشق فلسفة نيتشه ويردد بهيام خلف جاستن بيبر وهو يغني بصوت حزين ‹iam so lonely›

ربما لو لم يكن قد حدث كل ذلك بالفعل لما كنتُ لاشعر بهذة الغربة بين أهلي ، ولما خسرتُ جميع معاركي ولم أكنُ لاتمني أن أغادرني، ورغم أنني وددت ذلك بشدة إلى أنني لم أستطع المغادرة دون التخلي عني ولذلك أخترتُ البقاء، لو كان بقلوبهم ذرة من الإنسانية لما كنتُ اليوم خارج منزلي عاجزة كل العجز عن الرجوع إليه "

"آه يا صغيرة آه، ذلك جزاءنا جميعاً لم نقدر ما كان بحوزتنا، لستم وحدكم معشر البشر من جحد تلك النعمة الجميع فعل والان الجميع عوقبُ، نحن نتحمل الان ضريبة خطائنا وتذمرنا من ذلك الوضع الذي بات يشبه الجنة الان"

"لو تحدثنا قبل الحرب يا سيدة عصفورة لجادلتك قائلة ومالذي نمتلكه حقاً وجحدناه؟، ولكن ما حل بنا الان جعلني مدركة تماماً لكل الذي كان بحوزتنا، ليتني قادرة على الافصاح عن ما يعتمل بداخلي من أشتياق لحياتي السابقة، أشتقت الرفاق ومنازلهم وحتى الطرقات التي تقودني إليهم أشتقتها، صديقتي

ومواعيدنا اليومية ، لا زلتُ أذكر عندما جاءت لتوديعي ليتها أكثر ، لم أكن قد قلتُ كل ما عندي ليلتها، بكيتُ عندما حانت لحظة الوداع تمنيت لو أنني لم أسمح لها بالرحيل سريعاً أسئلها بالحان محمد حماقي
›لما يومها حضنتني وبعدين مشينا لي ما قلتش أن ده الحضن الاخير؟؟!!!‹
قلتُ ذلك ولم أعد قادرة على التوقف عن البكاء.
شعرتُ بجناحيها الدافئتان تربتان علي ظهري بينما خيم الحزن علي وجهها الرصين.
"لا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك امرا "
كان ذلك ما همست به قبل أن تحلق بعيداً وتختفي عن حقل الأقحوان.
1:05

Friday
12:06
"أنا لستُ هنا حتى تحتفظي بكل تلك الضجة بداخلك، لطفاً تحدثي صغيرتي "
أوجست منها، كيف علمت بشأن حديثي الداخلي؟! الا أنني أبتسمت أظهر لها سعادتي لان هنالك من يود الاستماع الي
"قلبي ليس بخير اليوم يا سيدة عصفورة "
"السلامة لقلبك، ما به ؟"
"امتلأ قلبي بالندبات لم أقصد ان قلبي كان سليماً يوماً ما ولكن الان لم يتبق جزءٌ والا قد جُرح
لم أقصد أنني كنتُ أعيش حياة وردية بل مثل الكثيرين مثقلة بالهموم والاحزان ...
مثقلة بالقيم وبمبادئى وبالمثالية المزيفة التي فرضتها على نفسي أو ربما فرضوها علي ...لا أدري ..
تنهدتُ بعمق وعندما وجدتها تستمع الي بكل تركيز إستطردتُ قائله
"هنالك اشياء لا يمكن شرحها او حتي فهمها
منذ ان كبرنا وعرفنا هذا العالم عرفتُ أننا مجرمون في نظر الحياه مثلنا مثل فان جوخ ،دوستويفسكي ،سيوران وكافكا جريمتنا اننا احببنا الكتب والكتابه ، جريمتنا اننا أمنا بالفن،الموسيقي ،الشعر والقلم.
مجرمون كنا او ضحايا ....الامر معقد
لم يحدث ان عشنا حرباً كهذه وايضاً عندما اقول هذا فلا اعني اننا كنا نعيشُ في سلام بل عشنا حروباً فقط هي من نوعٍ اخر ...

كنا خائفين ومنغلقين علي أنفسنا. ..نرتعش خوفاً آن إنتابنا ولو شك بسيط ان هنالك أحد قد اكتشف أسرارنا الصغيرة او مشاعرنا لعلمنا التام اننا نتعامل مع اشخاص سطحيين لن يفهموا مشاعرنا او مبادئنا.....
اكثرت الكلام الم أفعل؟؟"
"أستمعُ اليك بكل جوارحي، بوحِ بكل ما يشغل هذا القلب" المغزي وما أريد قوله انه رغم كل ما ذكر اعلاه لم نتوقف يوماً عن الحلم لم نتوقف يوماً عن الايمان بذواتنا ، أحلامنا والربيع. أمنا بالمستقبل وبالغد الملون أمنا واخلصنا لما أمنا به بل وعملنا من أجله
الان وبعد الحرب لن اقول اننا توقفنا عن الايمان لمجرد الظلم الذي أصابنا به طمع وجشع اخواننا البشر...
بل لا زلنا مؤمنين لان من يحكم الحياه ومن يملك مفاتيح السماوات والأرض هو الله سبحانه وتعالى وليس هم ولهذا السبب لن نتوقف عن الايمان فرب الإيمان حي لا يموت وهو القادر، فقط سنبقي أحلامنا معلقه الي حين ان يقول لها الله كوني فتكون.
"أنتِ كل يوم تثبتين لي أنك الشخص الصحيح، أنتِ هي بطلة هذة الروايه يا صغيرتي، تلك الاحلام والامنيات لآبد أن تتحقق ، الغد الملون بانتظارك أيضاً فقط كوني قوية وأصبري كما صبر نبي الله أيوب عليه السلام، مهما طال غياب الشمس شروقها في أي لحظة أمر حتمي ، كوني مستعدة لنشرق مع العالم لا نود التاخر هذة المرة.
"أعدك يا سيدة عصفورة بانني لن أضيع فرصة الشروق مرة

أخرى ولن أكتبُ عن الاكتئاب والحزن ، أعدك إن أنتهت الحرب وعدتُ إلى المنزل أن أشكر الله كما يجب ولن أجحد مرة أخرى. "
"واثقة بانك سوف تفين بوعودك".
جلستُ قربها بعد أن قبلت جناحيها بشكر وأمتنان، مر علينا صمتٌ مريح بينما نتامل أزهار الأقحوان، إلى أن قاطعته سيدة عصفورة قائلة
"هل تصدقينني عندما أخبرك أن اليرقات تشعر بالغيرة من أزهار الأقحوان؟"
"ماذا؟، كيف ولما ؟"
"لانها جميلة جداً ولأن زهر النرجس واقع في الحب معها"
فتحت فمي أعبر عن أندهاشي وقد شعرت بالفضول الذي يحيط بي لذا أبتسمت وأردفت قائلة :
"نعم يا صغيرتي أزهار النرجس والاقحوان في علاقة غرامية ، قد تبدو فكرة أرتباطهما معاً رومانسية ورائعة إلى أنها حقاً كسرت العديد من القلوب ومنها قلبُ أكثر من عشق الأقحوان يوماً لكنها لم تستطع مبادلته لشغفها بالنرجس "
"عن من تتحدثين؟"
"بحر كيمومايل، أو ما يعرف اليوم بالبحر الميت"
شهقت بصدمة، "البحر الميت كان واقعاً بحب الأقحوان؟؟!!!
"منذ زمن طويل عندما بدأت زهور الاقحوان تنمو على ضفافه كان يقضي جل وقته يطالعها وهو مفتونٌ بها وبجمالها الاخاذ، لم يكن يهتم إلى ما حولها من أزهار فقد كان مسلوب العقل بها، لحد أنه تخاصم مع الربيع لانه كان يتغزل بها ويتملقها، ولولا أنه يدري أهمية الربيع لها لمنعه من الاقبال عليها، لذلك الحد هو

شغف بها، وبما أنه لم يكن فيلماً أو رواية خيالية لم تأتي الرياح بما تشتهي السفن وراها يوماً تتغزل بالنرجس وتصارحه بمشاعرها ، لم يكن بيده فعل شئ فكما قالوا[الحب مثل الدين ،لا إكراه فيه]، ولأن العدالة الالهية شملت الكل أستجابت له وأخذت روحه فقد سئم من رؤيتها كل صباح وهي تمنح الحب الذي تمناه هو لزهر النرجس.

"يا الهي هل تبكين يا صغيرة؟"

"لم أستطيع منع نفسي، أنا أفهم ذاك الشعور جيداً لو كنت مكانه لتمنيتُ الموت أيضاً، فجميع الخسارات في الحب فادحة.

"الوقت يمر سريعاً معك صغيرتي "

"تمهلي لحظه ، لقد كتبتُ بالبارحة بعض السطور له هل يمكنني قرأتها عليك بالغد؟"

"أتطلع لذلك منذ اللحظة "

رفرفت في السماء لتعطيني أجمل منظر أنام من بعده.

Saturday
12:06
"لقد تاخرت علي اليوم يا صغيرتي، لا علم لديك عن الحماس الذي أشعر به منذ الامس "
"أسفة على التأخير، أتمنى أن يُعجبك بعد كل هذا الحماس " قلت ذلك وأنا أقلب أوراق دفتري وأقترب منها.
"التوقف عند كل مره لايجاد بدايه مناسبة امر شاق حقاً...احاول ولكن دون جدوى ..شاق جداً ان اختزل كل هذة المشاعر في سطور.....
اما بعد....
الى ذلك الذي يلمع داخل عيني بقوه..لم يعد شيئاً يعجبني...انها غلطتك انت....اود ان أبوح لك بسرٍ رفض الفراغ ان يبوح لك به...وهو ان كل الموجودات تفقد معناها عند غيابك وأنك أنت تعطي قيم لهذه الموجودات....قسماً كل شئ من دونك باهت ...هذا الشعور باللانتماء في غيابك مؤلم جداً.....ولكن ما هذا التناقض؟ ان كان الامر هكذا فلماذا لا اتيك وابايعك علي ان تحبني طيله ما حييت؟؟!!! دعك من كل الاسباب المنطقية الأخرى صدقني انا لن اعترف لك!!!لن ابوح حتي وان عني ذلك خسارتك للابد..... ربما يعود الامر الي تلك الاسطوره اليابانيه بالتاكيد لا تعرفها فمثلك لا يقرأ(غبي!)
حيث ان زواج ا يزاناقي وايزانامي كان ملعوناً..ولم يباركه الالهة الثلاثة .كل ما في الامر ان ايزانامي هي من بادرت بالسلام علي ايزاناقي بينما كان يجب ان يحدث العكس!!!.لهذا لن اعترف لك..اي جنون هو ذاك الذي يمنعك من ان تفتح فمك..التحديق

بي لن يفيدك...محاولاتك الباهته لفهمي ايضاً لن تفيدك...لانني استمتع بتعذيبك اذ انت بدورك تعذبني....استمر بالتفكير وساهديك كل يوم فكرة جديده (ابله!).
انه لحدث عظيم ان تستطيع رغم كل شئ ابعاد الغبار عن قلبي....دعك من احبك..فقط انت لامستني بعمق
رغم تناقضي اللانهائي كلي متفق عليك
ورغم كل محاولاتي في الابتعاد عنك فشلت
أسئلك اسئلة علي المولي:
فما يعني ان أُغصي روحي عنك وغصباً عني تاتيك؟
وان أعادي كل مافي لك وأنت لا اعاديك؟
وأن تغادرني سفني وترسوا في موانيك؟"
"أذن هل راق لك؟"
"أنا حقاً عاجزة عن التعبير يا صغيرتي ذلك الصدق الذي يتخلل كلماتك لامسني بحق، قلبي الان ينبض بالحياة بسبب كلماتك "
"هل أنتِ تبكين سيدة عصفورة؟!يبدو أن لعنتي قد أصابتك "
"لا تؤاخذيني أنا حساسة ناحية كل المشاعر والكلمات الصادقة "
"سعيدة أنك شعرتي بي"
"سيدة عصفورة الم يسبق لك وأن كتبتِ؟"
"كنت أكتبُ ولكن منذ وقت طويل "
"أرجوكِ شاركيني بواحدة من نصوصك، هل تحفظين ولو بضعة أسطر؟"
"حسناً ولكن لا تسالي لمن كتبت النص، أتفقنا؟"
أومأت موافقة بسرعة لفرط الحماس
"ويحدث ان يضج القلب بحب احدٍ لم نحادثه ولو لمرة واحده

علي الاقل ليس حديثاً تم فيه تبادل الكلمات
وان هذا رغم واقعيته لا زال غير منطقياً بالنسبة لي فانا لا اشعر بشئ أتجاه من أحادثهم والتقي بهم يومياً حتي
أمر غريب وكأنني واقعة في الحب مع شخصية من شخوص روايتي لا نلتقي الا داخل عقلي ولا اراه الا في أحلامي فقط مجرد خيال عاجزةً عن بلوغه .
يقولون أن من يؤمن بالقدر لا يؤمن بالصدفه ولكنهم فالوا ايضاً انه يحدث أن يلتقي الاشخاص غير المقدرون لبعض معاً
وبين قول وذااك أتخبط كثيراً يا عزيزي
لانني اؤمن بالقدر ورغم أنني كاتبه ربما.....لا استطيع ان أشطح بخيالي وأسمح لنفسي بان تقتنع أننا التقينا حتي لا نفترق بل أنا واثقة تماماً بأننا سنفترق او إفترقنا في رواية اخرى
ولكن لا زلت أيضا
غير قادره علي البوح بكل ما يختلج في صدري وذلك لعجزي عن تنقيه كلمات مناسبة فانا لا أشعر بالحب فقط بل لا أشعر بالحب الان وانما بغربة وبحزن وأسى شديدان
قال محمد طارق في رواية باريس لا تعرف الحب:من قال إن المدينة التي تقصف بها الحرب تعود مشرقه كما كانت حتي وان عادت أمنه،يبقي هناك جزء خاص محطم تماماً.
وفي داخلنا وما بين ضلوعنا توجد مدينه ايضا وستظل الدنيا تقصفها وتحاربها وستظل تلك المدينه تقاوم ولكنها يستحيل ان تنتصر سيبقي هناك جزء خاص منطفئ تماماً جزء لا تسكن آلامه ابدا ولا تستطيع اي سعاده ان تساومه او تفاوضه سيبقي محطماً للابد لان حراسه هم ذاتهم من اعتدى عليه وحطمه."

"كما توقعت رائعة، رغم أنني فضولية بشدة ولكنني أريد أجابه على سؤال واحد فقط، أرجوكِ"
"واحد فقط:
"هل جعله القدر من نصيبك ؟"
"فرقتنا الصدفة كما جمعتنا"
تنهدت بحزن فابتسمت وهي تطالعني بغموض
"كم إنتِ ظريفة يا صغيرة، ليس بالضرورة أن تحكم جميع اللقاءات بالنهايات التعيسة، كما أنه قد مر على هذا ما يقارب الثمانين عاماً ، وقد شفيتُ تماماً.
"وكونكِ لا زلتي تحفظين هذا النص دليلٌ على شفاءك صحيح؟"
"يا لك من ثرثارة "
أبتسمت
"ثرثارة لانني هزمتك سيدة عصفورة ؟!!"

Monday
12:00 🕛
"كنت أستمع إلى بودكاست أبجورة ، تحدثت لبنى عن المدن التي تسكننا وتعيش داخلنا واذا كنا نتخيلها ذكور أم أناث، جميلة أم قبيحة مزاجية أم بشوشة "
"وبالتاكيد خطر على بالك الخرطوم ، أخبريني كيف تبدو هي بالنسبة لك يا صغيرتي؟"
"أنثى فائقة الجمال ،لها أنف رقيق وعينان لوزيتان وأبتسامة ساحرة، ضاحكة مستبشرة وكأنه لا توجد من تضاهيها جمالاً، ولها شعر أسود طويل كالحرير تماماً مجرد النظر أليها يرد الروح ويشفي الجروح، أو كانت كذلك ألى أن حدث ما أطفئ أنوارها وذج بها خلف قضبان معتمة، كانت ساذجة لانها تائمن الكل وتعطي كل من هب ودب مفاتيحها ، تمنح وتعطي دون ميزانية، ورغم كل ذلك هي لم تنل الحب الكافي ولا جل الذي تريده، أنقسم الشعبُ بين مؤمن وكافر بها وما يزيد الطين بله أنني كنت مع من كفر بها، خططنا مئات المرات حتى نغادرها، ولكن سخر القدر منا وجعلها هي من تغادرنا
اليوم وأخيراً عرفت ما معني أن يغادرك من تحب، أنها أول مرة أتذوق فيها طعم الفراق ، ياله من طعم مرا!
لم أكن أدري أنها ستشعر هكذا عندما نغادرها ، ليتني تتاح لي فرصة أخرى حتى أحبها كما يجب وكما تستحق "
"هكذا هم البشر ، لا يدركون قيمة الاشياء التي بحوزتهم الا بعد ضياع الوقت وفقدانها، ليست مجرد صفة بكم أنها لعنة يا صغيرة"

"معك حق سيدة عصفورة ولهذا أنا بدأت بتنمية عادات جديدة وصحية أكثر من عاداتي الفطرية الخاطئة
أنا أحمد الله على هذا الوضع ، وأن أخرجتُ من منزلي ومنعت من العيش فيه بسلام لا زلتُ أمتلك أحبتي بقربي ، لا زلنا معاً أنا وعائلتي نقضي الايام المره والحلوة سوياً وقد أعتدتُ عليهم ويكفي أننا لم نفترق، كل يوم أستيقظ فيه من النوم وأراهم بصحة جيدة وعلى قيد الحياة هو بحد ذاته حدث يستحق الأحتفال، لم يتغير الكثير الا أنه الشوق القابع بسويداء قلبي غير ذلك لا زلتُ أقرا الروايات، أشاهد فيديوهات عمار مارو و أخصص وقتاً لدروس أبراهيم عادل، وايضاً أشاهد برامج الانمي المفضلة لدي وأتابع أخبار فرقتي التي أحب وأستمع الى أخر البوماتهم التي تم إطلاقها ، وأتناول"المقرمشات والاندومي" كما أعتدت أيام الجامعة.
"أنتِ صغيرتي الرائعة، لآبد لان يرتوي شوقك ذاك ولابد للعودة، هنالك أشياء حتى وإن كانت حتمية تحتاج لبضع من الوقت والتحلي بالصبر.
"فصبر جميل والله المستعان على ما يصفون"
"هيا قولي ما لديك، لا تتردي "
"أذن أنتِ تستطيعين قراءة أفكاري!"
عندما أكتفت بالابتسام أشحتُ نظري عنها وقلت
"حتمية العودة، أحلم بها ولكن ماذا لو عدنا ولم نجد من عشقنا وجودهم؟، ماذا لو تغيروا؟ وماذا لو باعونا وباعوا البلاد وهاجروا يبتغون نعيم بقية بقع الأرض؟"
"أن كانوا يشعرون بالحب ويبادلونك جميع أحاسيسك المرهفة

والصادقة فلن يرحلوا ولو رغبوا بالرحيل، ستهزمهم قلوبهم ،وسيظلون معلقين باطواق الامل ومكبلين باصفاد الإنتظار"
"حتى لو تغيرت أجندتهم وذواتهم؟"
"الحب الحقيقي لا تشوبه شائبة، لا يتغير ولا ينتهي هكذا خيالي كفكرة وجوده أحياناً"
"وماذا لو أصابنا الهرم؟"
"الربيع الحقيقي هو ربيع القلب يا صغيرتي،حافظي على قلبك ولن تهرمي أبداً"
"لا أعلم أي سبب لهذا ولكنني أقتنع بكل ما تفوهين به سيدة عصفورة "
"لانك تودين تصديقه بشده منذ الاساس، ولأنني أقول لك ما تودين سماعه، ولأنني جزءٌ منك فانا أنتِ في النهاية "
ماذا ... ، مالذي...
لم أستطيع حتى أن أسألها مالذي قصدته فما أن أعلنت الساعة عن دخول الواحدة رفرفت بعيداً، لا باس غداً سألتقي بها وأسألها.

Tuesday
12:00
12:30
🕐 12:40
"يالهي لماذا لم تأتي سيدة عصفورة حتى الان؟!!!
هل أصابها مكروه؟
سيجن جنوني؟!!
يستحيل أن تتخلف عن الموعد، كانت تآتي قبل الموعد حتى"
لشدة التوتر لم الحظ أنني كنت واقفة لمدة أربعين دقيقة،
أقتربت حيث مكان جلوسنا ، وقعت عيناي على ظرف ورقي
صغير فالتقطته بفضول
"صغيرتي لقد رحلت، في الوقت الذي ستجدين فيه هذة
الرسالة ساكون قد وصلتُ بالفعل للديار، لم أحتمل كل هذا القدر
الكبير من الشوق
دعينا نلتقي مجدداً عندما تعودين بدورك للمنزل، لنلتقي في
كلية تجارية وبالتحديد داخل المكتبة، إلى ذلك الوقت كوني
بخير ، ستنتهي الحرب عما قريب ، فاستبشري خيراً"
"كيف لعصفورة أن تدخل مكتبة ، الا لو أنها لم تكن عصفورة من
الأساس.....

النهاية

النهايه حتى الان ولكن ربما ألتقي بكم مجدداً اذ التقت السيدة عصفورة وهي

ختاماً

أود أن أقول لجميع صديقاتي وكل من أحبني يوماً ، أو تمني لي الخير ،ولمن فعل ما يجعلني سعيدة دون حتى أن يعلم، والى كل فرد من أفراد دفعتي

أن تحلوا بالصبر وقاتلوا، فانما الحياة تحديات وصعاب لا تدعوا كبيرها وصغيرها يهزكم، لا تخسروا أنفسكم أبداً فهي كنزكم الاثمن، لا تكونوا أنهزاميين، فاتلوا بكل ما أوتيتم من قوة ، فنحن نعيش مرة واحدة فالعمر، دعونا نلتقي مجددا فالقريب العاجل فاني والله يشهد على ما أقول أشتقتكم.

أدعوا الله حتى تعود بلادنا أمنة، سالمة وغانمة.

Writer. Safiya masoud